الدرس الثاني عشر: إنَّ الدِّينَ عِندَ اللّه الإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع مناظرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع والده وقومه وملك البلاد، أما الحوار الذي دار بينه وبين أبيه وقومه، قال إبراهيم عليه السلام لهم: ما هذه الأصنام التي صنعتموها، ثم عكفتم على عبادتها؟ قالوا: وجدنا آباءنا عابدين لها، ونحن نعبدها اقتداء بهم - وهذا قول كل من جاء ببدعة وضلالة وضل عن طريق الهداية - قال لهم إبراهيم: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في عبادتكم لهذه الأصنام في ضلال عظيم فهي لا تضركم ولا تنفعكم، تنحتونها ثم تعبدونها أليس هذا هو الضلال قالوا: أهذا القول الذي جئتنا به حق وَجِدٌّ، أم كلامك لنا كلام لاعبٍ مستهزئ لا يدري ما يقول؟ قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السماوات والأرض الذي خلقهنَّ، وأنا من الشاهدين على ذلك، وهذا مصداقا لقول الله تعالى:**{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا به عَالِمِينَ(51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ(52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ(53) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ(54)}** [الأنبياء: 51 - 54].

ولقد أراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يقيم الحجة على عُبَّاد الكواكب والنجوم والشمس والقمر بأنهم لا يصلحون أن يكونوا آلهة، فلما أظلم على إبراهيم عليه الصلاة والسلام الليلُ، ناظر قومه؛ ليثبت لهم أن دينهم باطل، وكانوا يعبدون النجوم. رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام كوكبًا، فقال مستدرجا قومه لإلزامهم بالتوحيد: هذا ربي، فلما غاب الكوكب، قال: لا أحب الآلهة التي تغيب. فلما رأى إبراهيم القمر طالعًا قال لقومه على سبيل استدراج الخصم: هذا ربي، فلما غاب، قال مفتقرا إلى هداية ربه: لئن لم يوفقني ربي إلى الصواب في توحيده، لأكونن من

القوم الضالين عن سواء السبيل بعبادة غير الله تعالى. فلما رأى الشمس طالعة قال لقومه: هذا ربي، هذا أكبر من الكوكب والقمر، فلما غابت، قال لقومه: إني بريء مما تشركون من عبادة الأوثان والنجوم والأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى، إني توجَّهت بوجهي في العبادة لله ♣ وحده، فهو الذي خلق السماوات والأرض، مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وما أنا من المشركين مع الله غيره.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ(76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ(78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(79)} [الأنعام: 75 - 79].

إخوتي في الله، لقد حاجَّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ملك البلاد النمرود حين ادعى الألوهية لأن الله أعطاه المُلْك فتجبَّر وسأل إبراهيمَ: مَن ربُّك؟ فقال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي الخلائق فتحيا، ويسلبها الحياة فتموت، فهو المتفرد بالإحياء والإماتة، قال النمرود: أنا أحيي وأميت، أي أقتل مَن أردتُ قَتْله، وأستبقي مَن أردت استبقاءه، فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام: إن الله الذي أعبده يأتي بالشمس من المشرق، فهل تستطيع تغيير هذه السُّنَّة الإلهية بأن تجعلها تأتي من المغرب؛ فتحيَّر هذا الكافر وانقطعت حجته، شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيـتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَـأْتِ بِهَا مِـنَ الْمَغْـرِبِ فَبُهِـتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(258)} [البقرة: 258].

ولقد جاء الأنبياء كلهم لمقصد واحد وهو توحيد الله في الارض وإفراده بالعباده ولكن الناس بدلوا، قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ(25)} [الأنبياء: 25].

ولقد أشرك اليهود بالله عندما زعموا أن عزيرًا ابن الله، قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهّ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهّ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤْفَكُونَ(30)} [التوبة: 30].

وأشرك النصارى بالله عندما ادَّعوا أن المسيح ابن الله وهذا القول اختلقوه، وهم بذلك يشابهون قول المشركين من قبلهم، فكيف يعدلون عن الحق إلى الباطل؟! ولقد خَلَقَ الله عيسى من غير أب كما خلق الله آدم من غير أب ولا أم، إذ خلقه من تراب الأرض، ثم قال له: " كن بشرًا " فكان. من أجل ذلك، فإن دعوى ألوهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة؛ فآدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم، واتفق الجميع على أنه عَبْد من عباد الله، قال تعالى:{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهّ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (59)} [آل عمران: 59].

فالإسلام هو دين الفطرة وهو ملة إبراهيم عليه السلام، وهذه الملة السمحة هي ملة إبراهيم عليه السلام، ولقد سمى الله هذه الأمة بالمسلمين في الكتب السماوية السابقة وجعل الله خاتم الرسل محمداً صلى الله عليه وسلم شاهدًا على المسلمين بأنه بلغ رسالة ربه، وجعل الله هذه الأمة شاهدة على الأمم السابقة بأن رسلهم قد بلَّغتهم كما أخبرهم الله تعالى في كتابه، قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ (78)} [الحج: 78].

ولقد اختار الله تعالى للناس الإسلام، فقال تعالى:{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهّ الإسلام} [آل عمران: ١٩].

ومن يطلب دينًا غير دين الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى والانقياد له بالطاعة، والعبودية، ولرسوله النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان به وبمتابعته ومحبته ظاهرًا وباطنًا، فلن يُقبل منه ذلك، وهو في الآخرة من الخاسرين، قال تعالى:{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ

وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(85)} [آل عمران: 85].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :**"كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ** - أي دين الإسلام - **فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ** – أي مقطوعة الأذن أو الأنف ـ[1].

وفيما يلي شهادة للفيلسوف الإنجليزي الشهير " توماس كارليل " حيث أطال النفس في كتابه (الأبطال) عن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب به قومه النصارى، ومن ذلك قوله: لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوِّر.

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبةٌ وخدعة؟!

أمَّا أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً.. وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح، وما كلمته إلا قول صادق (15).

وقال المؤرخ الإنجليزي ويلز: إن مصير أوربا كلها للإسلام.وإن لم يكن دينا وعقيدة فسلوكا ومنهاجا وأخلاقا (5).

وقال المستشرق الأمريكي فران فوجال: أرجو أن تنجحوا في الإستفادة من دينكم وقوانين شريعتكم ليس هذا من أجلكم فحسب..بل من أجل الإنسانية (51).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 1292، و(م) 2658.